من عسكرة اسرائيل، وصولاً إلى ما هي عليه الآن. فوجود هذه القوة العسكرية المتوافرة محلياً قد زاد من جاذبية استعمالها لدى المراكز الامبريالية، في مجمل المغامرات العسكرية التي تقوم بها تلك المراكز في المنطقة. وبالمقابل، فإن وجود تلك القوة عزز الاغراءات، لدى القيادة الصهيونية، لتوظيفها والافادة من مردود خدماتها، في بناء الشق اليهودي من المشروع الصهيوني، والذي يعاني من أزمة خانقة. وازاء هذا الوضع الذي تشكل، أصبحت تلك الآلة العسكرية هي القاسم المشترك الأدنى بين اسرائيل والمركز الامبريالي الأول ــ واشنطن. فالقيادة الاسرائيلية، من جانبها، أصبح مبدأ «العرض والطلب» يحكم قرارها في توظيف هذه القوة العسكرية. ومن جانب المراكز الامبريالية، تحكّم مبدأ «الكلفة والمردود»، في قرار استخدام تلك القوة. وهكذا قام، بين الجانبين: القيادة الصهيونية والمراكز الامبريالية، نوع من الشراكة ظلت غير متكافئة. وتعكس موازين القوى بين الشركاء، مما جعل من اسرائيل ظاهرة امبريالية، أكثر منها دولة يهودية.

ونتيجة لاعتماد القيادة الصهيونية مبدأ تعويض فشل المؤسسات الاستيطانية في أداء دورها، بتقوية الجيش الاسرائيلي وتوسيع دائرة نشاطه العدواني، تعزز موقع ذلك الجيش في اسرائيل، فطغى طابع الثكنة فيها على سمة الدولة. ونظراً لأهمية الدور الذي أنيط بذلك الجيش، سواء على صعيد حماية الاستيطان اليهودي وتوسيع رقعته والاسهام في تثبيته وتطويره، أم القيام بدوره العدواني، خارج حدود احتلاله، فقد جهدت قيادة العمل الصهيوني في رفده بوسائل القوة اللازمة له، ليستطيع الأداء بنجاعة، فنما وتطور، بشكل بارز، مما لفت انتباه المراكز الامبريالية لإمكانات الافادة منه. وراحت هذه المراكز ترعاه وتغدق عليه الدعم. وهكذا التقى الشريكان، ومن خلال المصلحة المشتركة، على إسناد دور متزايد باطراد لهذا الجيش، متناسب مع تعاظم قوته، وبالتالي، على تهيئة مستلزمات نجاعته في الأداء. وكان طبيعياً أن ينعكس ذلك في العقيدة الأمنية للقيادة الصهيونية. فكلما تصاعدت أزمة المشروع الصهيوني في شقه اليهودي، راحت قيادته تعوض الفشل الاستيطاني بالتركيز على الشق الامبريالي، عبر بناء الآلة العسكرية وتوسيع دائرة نشاطها وزجها، أكثر فأكثر، في الانخراط في المخططات الامبريالية ازاء المنطقة.

والواقع، أن عسكرة المشروع الصهيوني لم تكن وليدة الصدفة، كما أنها ليست حديثة العهد. فبناء الآلة العسكرية، وتطويرها بشتى الوسائل والأشكال قد رافق الاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ بدايته. ففضلاً عن الفيالق اليهودية التي أعدتها ودفعتها للقتال إلى جانب الحلفاء، في الحربين العالميتين: الأولى والثانية، عمدت الحركة الصهيونية إلى انشاء قوة عسكرية في المستوطنات في فلسطين، وإعدادها للقيام بدورها في المستقبل. واستمر هذا النهج، وبوتيرة متصاعدة، بعد قيام الكيان؛ ولعب رئيس حكومته الأول، دافيد بن ــ غوريون، دوراً مركزياً في هذا التوجه، وسار خلفه من بعده على خطاه. وهكذا، ولاثبات قدرتها العسكرية، وبالتالي إقناع المراكز الامبريالية أن بامكانها الاعتماد على اسرائيل كشرطي المنطقة، دخلت القيادة الصهيونية في المؤامرة الثلاثية للعدوان على مصر في حرب السويس. وكان لنجاح هذه التجربة، على الأقل عسكرياً، أثر بالغ في تشجيع القيادة الاسرائيلية على المضي قدماً في هذا النهج، كما لفت ذلك انتباه أميركا إلى امكانات توظيف قدرات اسرائيل العسكرية في خدمة مشاريعها المستقبلية. وعاودت